المحاضرة رقم (2): مفهوم علم العلاقات الدولية

أولا: تعريف علم العلاقات الدولية

إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر لم تحظ العلاقات الدولية كموضوع بحث بدراسة متخصصة ولا بفرع علمي مستقل، بل جرى دراستها في نطاق العلوم الاجتماعية بشكل عام، حيث أسهم فيها الفلاسفة والمؤرخون والقانونيون والاقتصاديون، وكنتيجة لهذا التنوع الكبير في المراجع والمصادر الفكرية للعلاقات الدولية فقد تشتت مضمونها وموضوعها، وكان عليها أن تنظر نهاية الحرب العالمية الأولى لتحظى باهتمام أكاديمي وبتخصص علمي مستقل، ومن خلال هذا يمكن التطرق إلى أهم التعريفات حول **علم العلاقات الدولية:**

حيث عرف **روبرت ميسا Roberto Mesa** علم العلاقات الدولية بأنه :

"العلم الذي يدرس المجتمع الدولي الديناميكي والجامد".

أما **جوهان بيرتن John Burton: " هو علم يهتم بالملاحظة والتحليل والتنظير من أجل التفسير والتنبؤ".**

وفي **تعريف رينولدس P.M.Reynollds: "العلاقات الدولية تهتم بدراسة طبيعة وإدارة والتأثير على العلاقات بين الأفراد والجماعات العاملة في ميدان تنافس خاص ضمن إطار من الفوضى وتهتم بطبيعة التفاعلات بينهم والعوامل المتغيرة المِؤثرة في هذا التفاعل".**

ويرى جورج كينان George Kennan في كتابه "العلاقات الدولية بين السلم والحرب بأنه: **" دراسة العلاقات الدولية هي التي تضم العلاقات السلمية والحربية بين الدول ودور المنظمات الدولية وتأثير القوى الوطنية ومجموع المبادلات والنشاطات التي تعبر الحدود الدولية وهناك أيضا العلاقات غير الرسمية".**

وفي تعريف محمد طه بدوي : "هو العلم الذي يعني بواقع العلاقات الدولية واستقرائها بالملاحظة والتجريب أو المقارنة من أجل التفسير والتوقع".

وهناك من يعرفه على انه: " هي ذلك العلم الذي يهتم بتحليل وتفسير مختلف الظواهر الدولية والعوامل التي تؤدي إليها، ومعرفة آثار ذلك على سلوك مختلف أطراف المجتمع الدولي".

كما يعرف البعض : **"يعني علم العلاقات الدولية بالكشف عن الحقائق المتعلقة بمختلف القضايا الدولية في أبعادها السياسية والإقتصادية والعسكرية والإجتماعية... كسبيل للتقصي وتفسير الأحداث والوقائع".**

وهو علم يهتم إجمالا بدراسة العديد الظواهر والتفاعلات الدولية، كما هو الشأن بالنسبة لقضايا الحروب والصراعات ومظاهر التعاون في مختلف المجالات، وسبل المنازعات... وقد زاد من أهمية وجدوى هذه الدراسات، التطور المذهل الذي شهدته العلاقات الدولية من حيث تشابكها وتنوع مجالاتها وقضاياها، وبروز اطراف جديدة إلى جانب الدول.

ثانيا: موضوع علم العلاقات الدولية

بخصوص تناول موضوع (Subject) العلاقات الدولية يمكن التطرق لفكرتين أساسيتين هما: قابيلية كافة مجالات الحياة الإجتماعية للإندماج في العلاقات الدولية، والسلطة هي الموضوع المفضل لعلم العلاقات الدولية.

1-قابلية كافة مجالات الحياة الإجتماعية للإندماج في العلاقات الدولية:

تعود أصول العلاقات الدولية كنسق إجتماعي وسياسي إلى عصور قديمة مع بروز أولى الخلايا الإجتماعية للدول، كسبيل لتأمين محيطها وضمان بقائها وتلبية حاجيتها المختلفة، فقد أقامت الحضارات القديمة (حضارات مابين النهرين، والحضارة الفرعونية، والحضارة الإغريقية، والحضارة الرومانية، والحضارة الإسلامية) علاقات مع محيطها الخارجي في مجالات مختلفة سواءا تعلق الأمر بفترات الحرب (إعتماد قاعدة الإعلان عن الحرب وعدم استهداف بعض الأماكن الدينية) أو السلم (نسج علاقات تجارية، تبادل الوفود الدبلوماسية، وإعتماد آالية التحكيم في تسوية الصراعات والمنازعات...)، وبنهاية القرن التاسع عشر لم تعد الإنشغالات الأمنية هي الأساس للعلاقات الدولية، وبرزت فكرة محورية مفادها أن التضامن بين الأفراد والدول وهو القاعدة، وفي وضع بنيات العلاقات الدولية وتحويلها بفضل تواجد المؤسسات الجماعية الدائمة (المنظمات الدولية)، وذلك عبر إتباع أهداف تعاونية، وتوحدية داخل المجموعات الدولية.

2-السلطة هي الموضوع المفضل لعلم العلاقات الدولية:

ساهمت العلاقات الدولية في دراسة ظواهر السلطة في المجتمع الدولي، حيث أن الموضوع هو نفسه في علم السياسة وأختلف فقط المجال الجغرافي، وظلت الدول متحكمة وممارسة للسلطة السياسية.

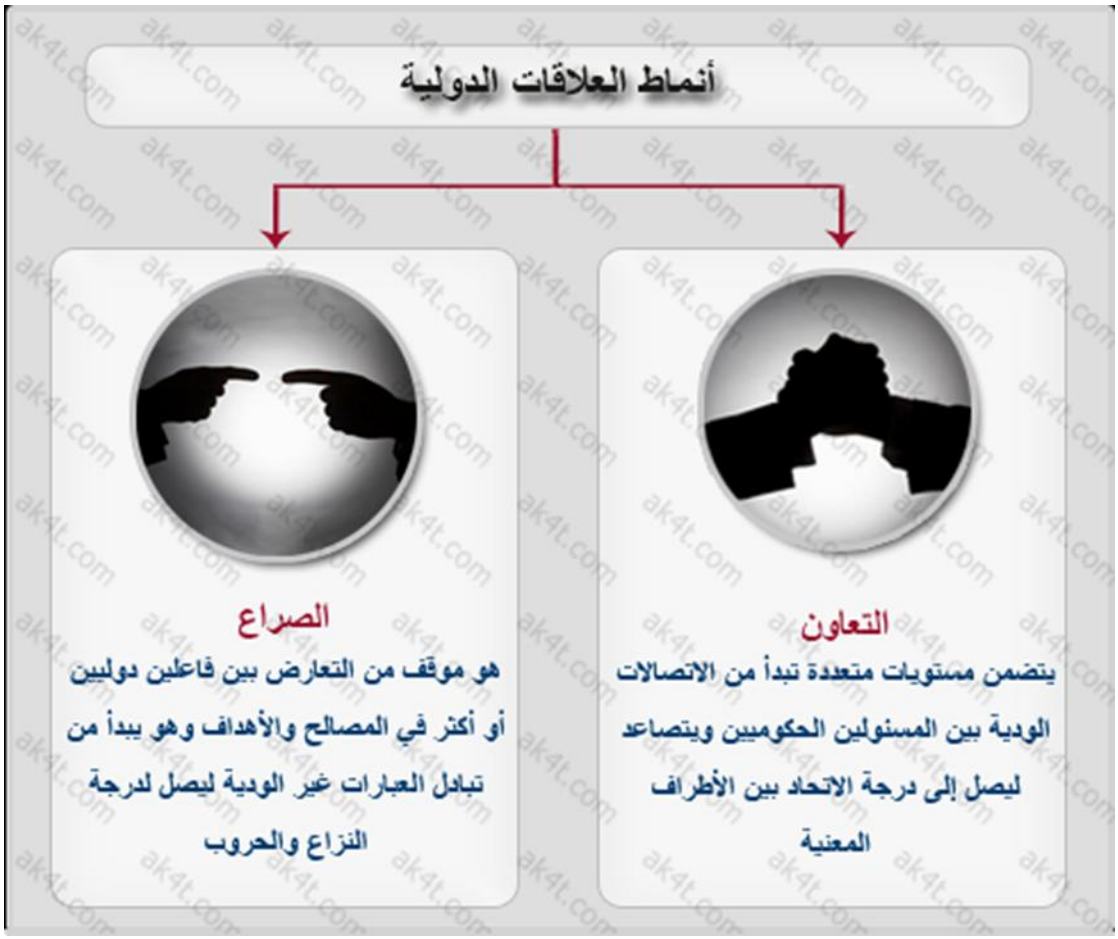

ثالثا: مناهج العلاقات الدولية

سعى حقل العلاقات الدولية لأن يكون فرعا علميا مستقلا بذاته، له موضوعاته الخاصة به، ومجموعة النظريات التي تميزه عن غيره، وكذا المناهج الكفيلة بتحقيق ذلك، وفي هذا السياق هناك مجموعتان من المناهج التي تتبع في دراسة العلاقات الدولية: المناهج التقليدية والمناهج الحديثة، وسنقوم بعرضها فيمايلي:

1/المناهج التقليدية:

1-1-المنهج التاريخي: هو أكثر المناهج التقليدية شيوعا، ينطلق من أن العلاقات الدولية المعاصرة جذور وامتدادات تاريخية، لكنه يهمل السببية والترابطات المنطقية.

1-2-المنهج القانوني: وهو لا يحلل العلاقات الدولية في إطار الديناميكيات السياسية كالقومية الإستراتيجية والإيديولوجية والسيكولوجية والدعائية التي ترافق تطور هذه العلاقات، وإنما يقتصر على الجوانب القانونية التي تحيط بعلاقات الدول (المعاهدات والإتفاقيات الدولية، المسؤولية الدولية، كيفية تسوية النزاعات الدولية بالطرق القانونية والديبلوماسية، هيكلة المنظمات الدولية ووظائفها وقواعد عملها ... إلخ.

1-3- المنهج الواقعي: هو منهج التحليل في إطار سياسات القوى، وهو على اتصال بالواقع الدولي وأكثر تعبيرا عن أوضاعه، يقوم هذا المنهج على التحليل بفكرة المصلحة القومية وكذا فكرة القوة، حيث يؤخذ المجتمع الدولي كميدان لصراع مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستغلالها.

2/المناهج المعاصرة

2-1-المنهج النظمي: يقوم على تحليل النظام الدولي ومكوناته الفرعية، بينه مورتن كابلان **Morton Kaplan** في إطار كتابه "النظم وكيفية عملها في السياسية الدولية"، يهدف إلى التوصل إلى القوانين، والنماذج المتكررة في كيفية عمل هذه النظم وتحديد مصادر ومظاهر الانتظام **Regularities**، أو عوامل التوازن والاختلال فيها، من أمثلة هذه النظم العالمية أو الكونية **Global systems** ، نظام توازن القوى **Balance of Power**، نظام الثانئية القطبية، وكذا نظام تعدد مراكز إتخاذ القرار في السيادة الدولية **Polycentrion**.

2-2-منهج التوازن في العلاقات الدولية: من دعاته جورج ليسكا **liska Georges**، يحلل العلاقات الدولية في إطار التوازن الديناميكي وليس الستاتيكي، يأخذ بالواقع وكذا ديناميكيته أي حالة الإستقرار النسبي المؤقت الذي قد يحتل تحت تأثير بعض بعض العوامل ممهدا الطريق لظهور توازن مؤقت جديد.

2-3-منهج إتخاذ القرار: تهتم هذه المقاربة بتحليل كل العوامل والمؤثرات التي تحيط بصانعي السياسة الخارجية عند إصدرات قرارات معينة، تأخذ هذه المقاربة برأي **ريتشارد سنايدر**، موضوع الدوافع **Motivation**، تتابع المراحل **Sequention**، الأطراف المتفاعلة في بيئة قرارية ... إلخ.

2-4-منهج المباريات: يعد من أكثر الأساليب المتطورة والمستخدمة في مجال التحليل النظري للعلاقات الدولية، يقوم على تصور أزمات دولية، حقيقية أو وهمية، وإسناد أدوار معينة ومحددة لعدد من الأطراف التي تقوم بتحليل كافة أبعاد الأزمنة وخلق نطاق واسع من البدائل الصالحة لحلها.

المحاضرة رقم (3): التمييز بين علم العلاقات الدولية والعلوم الأخرى

لقد سيطرت الاهتمامات الرسمية بالعلاقات والمبادلات والوثائق والمعاهدات الدبلوماسية على حقل العلاقات الدولية في بدايته، وذلك عندما انضوى تحت لواء فروع من العلوم الاجتماعية كالقانون والاقتصاد، لكن حركة الاستقلالية والتخصص التي كان يشهدها ميدان العلوم الاجتماعية لم تستثني العلاقات الدولية من أن تكون تخصصا علميا مستقلا حتى وإن جاء متأخرا، ودون الخوض في المشكلة الحقيقية التي تتعلق بالتأريخ المعرفي للعلاقات الدولية، وهي تنبع أساسا من مسألة تحديد جذور وظهور العلاقات الدولية كخبرة فكرية، وكمشروع للمعرفة (التأسيس الأكاديمي لها).

إن وجود حقل مستقل في العلاقات الدولية يتطلب جملة من الاعتبارات وهي:

- تطور نظرية في ذلك الحقل.
- وجود طرق بحث علمي والمقصود هنا المناهج (وهذا ما تطرقنا إليه في السابق).
- تحديد المصطلحات والتي استخدمت أحيانا كمرادفات مثل السياسة الدولية والسياسة الخارجية.

أولا: التفريق بين العلاقات الدولية عن المفاهيم ذات الصلة

سنحاول التفريق بين العلاقات الدولية وبعض المرادفات المشابهة: السياسة الخارجية والسياسة الدولية.

1-السياسة الخارجية

يعرف **مارسيل ميرل** السياسة الخارجية بأنها: **"ذلك الجزء من النشاط الحكومي الموجه نحو الخارج، أي الذي يعالج بنقيض السياسة الداخلية، مشاكل تطرح ماوراء الحدود"**.

من هذا التعريف نستطيع أن نستنتج بأن السياسة الخارجية هي قرارات وافعال. فهمي قرارات لأنها جزء من النشاط الحكومي الموجه إلى الخارج وأفعال لأنها تعالج مشاكل تطرح ما وراء الحدود. فالسياسة الخارجية ما هي إلا مبادئ وأفعال تتخذها هيئات ومؤسسات دخل الدولة. تتضمن السياسة الخارجية إذن الأفعال المتخذة من قبل صانعي القرار بهدف تحقيق أهداف بعيدة المدى وأهداف قريبة المدى. وان الفعل مقيد من قبل الظروف المدركة لصالح ما يسعى صانع القرار إلى تحقيقه، مثل الظروف الجغرافية والاقتصادية والديمغرافية والهيكل السياسي والثقافة والتقاليد والموقف الاستراتيجي والعسكري.

وتصنع السياسة الخارجية بواسطة مجموعة من الأجهزة الرسمية وغير الرسمية، وهي عادة عملية تتكون من سياقات طويلة تشترك فيها أجهزة متعددة تأتي في مقدمتها السلطتان التشريعية والتنفيذية. ويتفاوت تأثير ذلك حسب طبيعة الأنظمة السياسية إلا أنه بصورة عامة للسلطة التنفيذية دور رئيس في صنع السياسة الخارجية ولكنه دور مقيد حسب طبيعة النظام السياسي. إن السياسة الخارجية للدولة هي جزء من سياستها الوطنية، وإن على كل دولة أن تختار ما ينبغي عليها أن تقوم به فيما يخص الشؤون الدولية، وغي إطار حدود قوتها وواقع

بيئتها الخارجية، وإن الفشل في هذا القرار يؤثر على مصالحها الحيوية. إن السياسة الخارجية هي المفتاح الرئيس في العملية التي تترجم بها الدولة أهدافها المدركة الواسعة ومصالحها في الفعل الصحيح لتحقيق هذه الأهداف والحفاظ على هذه المصالح.

2-السياسة الدولية

إن أيه سياسة خارجية حينما تخرج وراء حدود الدولة فإنها تلتقي بغيرها من السياسات الخارجية للدول الأخرى وهي تسعى للبحث عن إنجاز أهدافها وقيمها، وإن التفاعل الناجم عن ذلك يطلق عليه بالسياسة الدولية، أي التفاعل السياسي الدولي الذي ينطوي في آن واحد على نمط من الصراع والتعاون.

ويعرف **جوزيف فرانكل** السياسة الدولية بأنها "تتضمن السياسات الخارجية للدول في تفاعلاتهم المتبادلة بالإضافة إلى تفاعلاتهم مع المنظومة الدولية (**System**) ككل ومع المنظمات الدولية ومع الجماعات الاجتماعية غير الدول. ويوضح التعريف إن التفاعل السياسي يشمل جميع وحدات المجتمع الدولي وليس فقط الدول بدليل تطرق ف**رانكل** إلى المنظمات الدولية والجماعات الاجتماعية من غير الدول، وبالتالي فإن محصلة هذا التفاعل السياسي الدولي يطلق عليه بالسياسة الدولية.

نستنتج أن السياسة الدولية تشمل التفاعلات السياسية الدولية، غير أن التفاعلات التي تجري في المسرح الدولي هي ليست سياسية فقط وإنما هناك أيضا تفاعلات تشمل الجوانب الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية وغيرها من أنواع التفاعلات الأخرى التي تكون بمجملها ظاهرة العلاقات الدولية، فبالإضافة إلى تداولها للعلاقات السياسة بين المجتمعات المستقلة، فإن العلاقات الدولية تدرس اتحادات التجارة الدولية، الصليب الأحمر الدولي، التجارة الدولية، النقل، الاتصالات، تنمية القيم والمعتقدات الدولية.

ومن هنا يصبح واضحا أن ظاهرة السياسة الدولية هي جزء من العلاقات الدولية، إلا أن أساس هذه العلاقات يرجع إلى السياسة الخارجية التي هي بمثابة الأم لكل النشاطات والتفاعلات في العلاقات الدولية، فالسياسة الخارجية هي التي تكون السياسة الدولية، وهذه بدورها تخلق العلاقات الدولية. أنظر الشكل رقم (1).

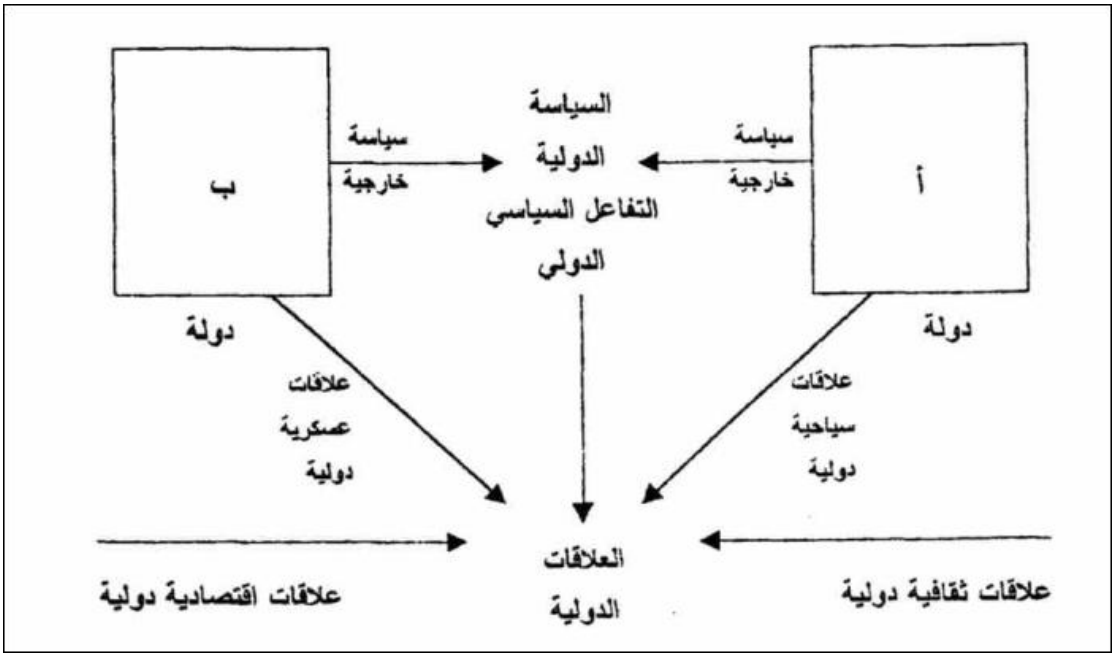

ثانيا: علاقة علم العلاقات الدولية ببقية العلوم الأخرى

إن علم العلاقات الدولية علاقة وثيقة بالعلوم الأخرى مثلا بعلم السياسة، علم الاقتصاد، علم القانون، علم التاريخ، علم الاجتماع وعلم النفس وحتى الجغرافيا وهو ما سنحاول توضيحه.

1- علاقة علم العلاقات الدولية بعلم السياسة:

بما أن العلاقات الدولية هي مادة مشتقة من علم السياسة كون أن هذا الأخير يدرس ظاهرتي الدولة والسلطة إضافة إلى المواضيع الحديثة التي ليس مقام الكلام عنها، أما علم العلاقات الدولية يختص بدراسة وتحليل كل ما يترتب على ممارسة السلطة في المجال الخارجي،

وبما أن العلاقات الدولية تتشكل من الدول والفواعل الأخرى وهذا وجه العلاقة الأول بما يعني أن إهتمام علم السياسة هو دراسة الدولة بمختلف مايرتبط بها من حيث نشأتها، طبيعتها، تكوينها الداخلية طبيعة النظام السياسي فيها، فهذا كله يهم علم العلاقات الدولية لأن سلوك الدولة الخارجي أول ما يراعي فيه هو السياسة الداخلية التي هي إنعكاس للسياسة الخارجية، وما يضاف إليه بالنسبة لوجه العلاقة الثاني هو ظاهرة السلطة فكما يهتم علم السياسة بدراسة السلطات الرسمية منها وغير الرسمية ودورها في رسم السياسات العامة للدولة، فعلم العلاقات الدولية يهتم كذلك بمعرفة الفواعل الرسميين وغير الرسميين الذي يلعبون دورا هاما في التأثر في مسار النظام الدولي سواءا تعلق الأمر بدولة عظمى معينة أو منظمة دولية أو منظمة غير حكومية أو حتى تنظيم غير رسمي مثل التنظيمات الإرهابية ومن يساهم في توجيه هذا النوع من الشبكات وعليه من خلال هذه الأوجه تظهر العلاقة بين العلمين.

2- علاقة علم العلاقات الدولية بعلم الاقتصاد:

تتحكم الظاهرة الاقتصادية إلى حدود بعيدة بسير العلاقات الدولية إن لم نقل أنها المتسبب الأساسي في كل ما يحدث دولية، فنجد أن سبب حدوث الحروب الدولية هو إما من أجل الحصول على الموارد الأولية أو من أجل فتح أسواق خارجية، وأحيانا حتى الدعم الذي تتلقاه الفئات المعارضة لنظام سياسية معين خاصة في دول العالم الثالث من طرف القوى الغربية من أجل أن تحصل هذه الأخيرة على امتيازات اقتصادية في تلك الدولة عند نجاح التحول السياسي، هذا من جهة ومن جهة ثانية نجد أهمية العامل الاقتصادي في المنافسة الاقتصادية الدولية ظاهرة بين القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، الصين، الاتحاد الأوروبي، اليابان حول من يسيطر على أكبر قدر ممكن من الأسواق العالمية وبناء على المعيار الاقتصادي نجد أن الدول المتطورة اقتصاديا في المجال

الزراعي، الصناعي التجاري والمالي نجدها دولا متقدمة وعلى العكس الدول غير المتقدمة اقتصاديا هي دول متخلفة تابعة.

كما تجدر الإشارة إلى ظهور نظريات في العلاقات الدولية ركزت على دور العامل الاقتصادي في التحليل على غرار النظرية الماركسية خاصة الشق الحديث منها أو ما عرف بنظرية التبعية التي تقسم العالم إلى قسمين دول المركز الرأسمالي المتقدمة اقتصاديا ودول المحيط المتخلف، وسبب ذلك رادع إلى الاستعمار الذي تعرضت له دول العالم الثالث والاستنزاف الذي حصل على ثروتها ومازال مستمرا إلى يومنا هذا نتيجة لطبيعة النظام الاقتصادي العالمي الذي يخدم فقط الرأسماليات الغربية المتطورة ويبقى الدول المتخلفة في الحلقة المفرغة للتخلف، وسنفصل أكثر في هذه النظرية لاحقا.

ما يمكن استخلاصه بأن ما يميز العلاقات الدولية بالنسبة للاقتصاديين هو أن مختلف الدول تسعى إلى تحقيق رفاهها المادي بواسطة مجموعة متنوعة من المبادلات والتعاملات الدولية، وما يطغى على العلاقات الدولية كذلك هي العلاقات المالية والتجارية فهي التي تحقق التوازن أو التفاوت أو الاختلال في العلاقات القائمة بين الدول وكون ان مختلف الصراعات الدولية نجد معظم تفاسيرها في العامل الاقتصادي الذي يعود إليه الدور الفعال والحاسم.

3-علاقة علم العلاقات الدولية بعلم القانون

بما ان القانون هو مجموعة القواعد التي تنظم سلوكات وعلاقات الأشخاص سواء الطبيعيين منهم أم المعنويين على وجه ملزم على المستوى الداخلي فإن الساحة الدولية هي الأخرى بحاجة إلى تنظيم من أجل ضبط قواعد اللعبة الدولية وهو ما دعى الحاجة إلى ظهور ما عرف ب"**القانون الدولي العام**" بما يعني أنه وجه العلاقة بين علم القانون والعلاقات غير أن غياب سلطة الإكراه المشروع في الساحة الدولية يطرح الكثير من التساؤلات حول جدوى

وجود هذا القانون، فمنطق القوة السائد في السياسة الدولية فبالرغم من معارضة مجلس الأمن الدولي للتدخل الأمريكي في العراق في مارس 2003 بحجة إمتلاكه لأسلحة الدمار الشامل فهذا لم يمنع الإدارة الأمريكية من تدمير العراق وتنفيذ خطتها والأمثلة على إختراق القانون الدولي تبقى كثيرة.

4-علاقة علم العلاقات الدولية بعلم التاريخ

بما أن علم التاريخ يهتم بدراسة الأحداث التي قام بها الإنسان في الماضي بصفة عامة فإن الباحث في العلاقات الدولية لا يستطيع دراسة ظاهرة دولية حديثة من دون العودة إلى سياقها التاريخي بمعنى الرصيد التاريخي مهم من أجل معرفة أسباب الظاهرة وحتى التنبؤ بمستقبلها، فعلى سبيل المثال المذكرات التي يكتبها صناع القرار عن فترات حكمهم تعد مادة أصيلة للوصول إلى الحقيقة، كذلك المعاهدات الدولية التي حصلت في ظروف معينة هي الأخرى تعتبر رصيدا هاما يفيد الباحثين في معرفة أسباب الوصول إلى تبني تلك المعاهدات ونتائجها المستقبلية، وفي هذا المجال ظهر ما سمي ب: "التاريخي الدبلوماسي" الذي يعتبر وجها للعلاقة بين علم التاريخ وعلم العلاقات الدولية من خلال ظهور ماسمي ب"الوثيقة الدبلوماسية" التي تشكل كما سماها البعض بالوسيط بين الماضي والمؤرخ، ومرآة الحقيقة التاريخية.

كما تجدر الإشارة إلى تاريخ العلاقات الدولية كمقياس هام يهتم بدراسته طلاب العلاقات الدولية، وإهتمام كتاب بارزين من أمثال جون باتيست دوروسيل Duroselle ورونوفان Renouvin به وتركيزهم كذلك على دراسة ماسمي ب"القوى العميقة" التي تمارس هي الأخرى دورها والمقصود بها: العوامل الجغرافية، الإقتصادية والمالية والتيارات الإديولوجية وحتى الإهتمام بسيكولوجية صناع القرار التي لا يمكن الإغفال عنها في صناعة القرار.

5- علاقة علم العلاقات الدولية بعلم الإجتماع

تعود نشأة بعض الظواهر الدولية إلى مجتمعات محلية ثم تنتشر بعدها لتشمل مجتمعات أخرى، والعلاقة الدولية في حد ذاتها كموضوع للدراسة هي ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن المجتمع الدولي المتشكل من الدول بالدرجة الأولى، والكثير من الكتاب الأوربيون يرون بأن العلاقات الدولية هي دراسات ذات طابع إجتماعي والنتيجة هي أن علم العلاقات الدولية هو علم الإجتماع ينظر إليه من وجهة نظر دولية، فالكثير من المنظمات الدولية تعني بالجانب الإجتماعي على غرار منظمة الصحة العالمية، منظمة العمل الدولية وغيرها إضافة إلى ذلك لو نأخذ حدوث مظاهرات مطلبية في دولة معينة حول تحسين الأوضاع الإجتماعية فبالإمكان أن تتحول تلك المطالب إلى سياسة حول المطالبة بالمزيد من الإنفتاح السياسي، إلا أنهم الأهم من ذلك هو إنتقال تلك العدوى إلى دول أخرى مجاورة أو إقليمية.

6- علاقة علم العلاقات الدولية بعلم النفس:

يعود وجه العلاقة كون أن علم العلاقات الدولية يهتم بدراسة العوامل النفسية التي تؤثر في صانع القرار، وكيف توجه تلك العوامل عملية صنع القرار وتجعلها تأخذ مسالك مؤثرة على النظام الدولي في حد ذاته، ومن أمثلة ذلك دراسة ذهنية الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** George Walker Bush ودورها في الغزو الأمريكي على العراق في مارس 2003.